بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

تمتلك الأمة الإسلامية مقومات **التقدم والدفع الحـضارى**، ففـى تراثنـا - الزاخـر الخالد – أدلة على اتجاه المسلمين نحو العلم التجريبى، وعنايتهم بالتطبيق، وبعد مرحلـة من الرُّقاد والنعاس أفاق المسلمون على تقدم الغرب؛ بما أفادوه من نواتج حضارتهم يوم أن فهم المسلمون دورهم الحضارى المنوط بهم أداؤه. ويـوم أن تيقنـوا أن الإسـلام هـو باعث نهضتهم، وأنه المخلِّص للأمم من الضياع والتمزق.

ونؤكد هنا حقيقة مهمة مؤداها أن واقـع الإمكانـات الماديـة والثـروات البترولية والكثافة البشرية والمد الجغرافى كلها أمور تُحفـز للإنتـاج والتقـدم، وتقـديم المنجـزات، واستنفار الطاقات الإسلامية الضخمة؛ التى إن خرجت من عقالها سيكون لها تأثيرها فى تشكيل العالم الجديد.

وقبل ذلك فإن الناظر للإسلام وقيمه الروحية المتسامية، وأخلاقياته الربانية، ومـا يقدمه من بدائل وأطروحات للحياة الرشيدة، وما اشتمل عليه القرآن الكريم من نفائس وتوجيهات وأحكام وضوابط؛ يتأكد لديه أن القرآن الكريم تضمن الأمور الأساسـية فى تنظيم الحياة والحكم وفى الهداية والرشـاد وفى الاسـتقامة والتجـرد لله تعـالى، وفى أمـور العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاقيـات، وهـى كلهـا أمـور مـن شـأنها أن تكـون بواعث ومحفزات ليقظة إسلامية.

والمتأمل لرد فعل الغرب نحو الإسلام يجد أن أخشى ما يخـشاه العـالم الغربـى أن تحدث النهضة الإسلامية، واليقظة الفكريـة – وهـى حادثـة إن شـاء الله – ولـذا فـإنهم يحاربون أى نهضة إسلامية فى بلادهم، ألا ترى أنهـم لا زالـوا يحتفلـون – فى أسـبانيا – بخروج المسلمين من الأندلس كعيد عظيم لهم؛ رغم إدراكهم للـزخم الحـضارى الـذى خلفه المسلمون هناك.

وليس غريبًا أنهم لم يُخفوا ذلك، ولكن أعلنوه، وصوروا الإسـلام عـلى أنـه خطـر عظيم عليهم!!!

ولنتوقف قليلاً عند تصريح لأحدهم:

« إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامى، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا؛ فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى (الاستغراب) أى دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة فى الشخصية الحضارية الغربية..»

« .. وقد حاولنا خلال حكمنا الطويل فى الجزائر أن نتغلب على الشخصية التاريخية لشعب هذا البلد؛ فلم نأل جهدًا فى صوغ شخصية غربية له، فكان الإخفاق الكامل نتائج مجهودنا الضخم الطويل».

« .. وإذا تحرر العملاق من قيود جهله، وعقدة الشعور بعجزه عن مجاراة الغرب فى الإنتاج فقد بُؤنا بالإخفاق الذريع، وأصبح خطر العالم العربى وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا يتعرض به التراث الحضارى الغربى لكارثة تاريخية ينتهى بها الغرب، وتنتهى معه وظيفته القيادية» **لم هذا الرعب كلّه من الإسلام؟ (ص ص ٢٣-٢٥).**

هذا ما جاء على لسان أحد المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية فى الخمسينات!.. ولك أن تتصور كيف نُميت هذه الأفكار المتقدمة الذكر ؟ وكيف رعاها الإعلام الغربى ودلل عليها وطورها؟ وكيف ساعدت قوى الشر والصهيونية على نشر مثل هذه الأفكار؛ التى تخيفهم وتُفزعهم من الإسلام؟

لقد بات ذلك واضحًا فى سلوك الحكومات فى تلك البلاد؛ فقضية الحجاب الذى ارتدته تلميذات مسلمات فى مدارس فرنسا اتخذت أبعادًا سياسية عظيمة؛ فى مجتمع متحرر يسير فيه العراة وأنصاف العُراة، وتخصص فيه شواطئ للعراة والمنكر!! مفارقة عجيبة وبون شاسع!! فإذا بهم يحسبون، ويتيقنون بأن الإسلام هو الخطر الداهم عليهم. وربما يعجب المرء من هذا الخوف والحذر الذى انتقل للعداء والكراهية ثم الحرب المعلنة ضد الإسلام وأهله، ويزول هذا العُجب عندما يقفز إلى ذهنه أنهم – أى أعداء الإسلام – أدركوا الجانب العلمى والحركى والحياتى فى الإسلام، ربما أكثر من فهم كثير من

المسلمين وإدراكهم له، إنهم لا يخشون الإسلام كفكرة، وإنما يخشون منه كباعث حضارى لهذه الأمة، لا يذوب فى سباقات الحضارات الأخرى، وإنما تتميز أمته بذاتها وذاتيتها، ويتميز هو بأنه صانع أمة، عندما يكون الإسلام هو نقطة بدايتها، وعنوان زعمائها وقادتها، ومبعث تفكيرها ونهضتها، ويحتكم إليه فى خلافاتها، وإليه يُرجع فى شئونها العامة والخاصة.

هذا الجانب العلمى والحركى هو الذى ابتعث المسلمين، وحرّكهم من الجزيرة العربية ليحملوا أنوار الهداية لكل العالم، وهو الذى دفعهم لنشر هذا الدين وتبليغه، وتوصيل آيات الحق والهدى لكل البشر.

وقد انطلقت مسيرة العرب والمسلمين فى الشرق والغرب، رافعين راية الله، وكان منطلقهم الدعوة للتوحيد والأخوة والتحاب، والشريعة العادلة، والخلق الكريم، فالله تعالى هو ربهم والناس جميعًا هم إخوانهم، والأرض كلها هى ديارهم؛ لذا فقد انتصروا ولم يذلوا أحدًا، وقد فتحوا البلدان ولم يخربوها، وساسوا الناس بالعدل والرحمة والحق، وحاربوا على شريعة، وسالموا على شريعة. وقد قادهم إلى الفتح والانتصار والتمكن فى الأرض ونشر السلطان ذلك الإيمان، الذى ملأ قلوبهم، والعقيدة الصافية التى صاغتهم من جديد، واليقين بنصر الله الذى أكسبهم ثقة وعونًا ورشدًا.

هذا الإيمان، وتلك العقيدة، وذلكم اليقين كان منطلق سيرهم ونهايته، وصَحِبهم من غزوة بدر الكبرى إلى تبوك والقادسية واليرموك وبلاط الشهداء. وقد كان ديدنهم فى ذلك الشريعة الجامعة؛ التى ساروا عليها، والقانون الإلهى المحكم، الذى رُشدوا به، وعملوا به فكانوا لا يعتدون، ولا يبغون، ولا ينقضون العهد، ولا يظلمون، ولا يغدرون، ولا يفسقون؛ ولذا لم يسيروا فى الأرض ابتغاء المال والملك والسلطة والسلطان والجبروت، ولكنهم كانوا دعاة دين عظيم، وشرع قويم، وخلق كريم، وأصحاب رسالة، ورسل عدل ورحمة ومساواة وكانوا أصحاب حضارة قوية، قامت على أساس من الدين القويم، وقد أدركوا ينابيع الهدى ومصابيح الهداية ومقومات التمكين فى الأرض فى هذه الحضارة، وأن هذه الحضارة المستمدة من السماء لا يمكن أن تقف عند حد الجمود والتصلب بل لها من الانبعاث والتجدد الشىء الكثير.

ونحن هنا ننطلق من هذا الانبعاث الذى نجده إحدى سمات هذه الحضارة الإسلامية فهى (حضارة بعث) وحضارة انطلاق وتطور ونهضة ودفع لحركة المجتمع. وتبقى يقظة هذه الأمة ما بقى الحراس الأمناء لهويتها الحضارية، ودعاة الإحياء والتجديد والبعث.

بين الحضارة الإسلامية.. وبين البعث يأتى كتابنا هذا؛ الذى هو محاولة متواضعة لرصد عناصر البعث الحضارى ومقوماته فى الإسلام، انطلاقًا من كون هذا الدين به عناصر النهضة، ولزوميات التحضر، وأساسيات التقدم والتفوق، إيمانًا منا بأن النهضة الحقيقية واليقظة الصحيحة لهذه الأمة إذا لم تنبعث من دين الله فهى إلى موات وزوال ومحق، اتساقًا مع هذه العبارة الذهبية للفاروق عمر بن الخطاب « كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله».

فضلاً عن كون الدين الإسلامى قد ضُمن كل المقومات التى تدفع المجتمع للتقدم، وتستطيع أن ترصد ذلك فى الجوانب القيمية والأخلاقية والعلمية والعملية فى هذا الدين وأن الإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية فى حاضرها ومستقبلها، مما يحيق بها من أخطار وتحديات وذلك بسلامة منهجه فى النظر والفعل، وفى النظرية والتطبيق، وقضائه على روح الأثرة والفردية والأنانية والنفعية والتسلطية والجموح والشرود. فقد حدد القرآن الكريم علاقة الإنسان بالوجود كله، وبكل من حوله، وما يعرض له، ورسم سمات المجتمع المسلم الفاضل، ووضع لها ضوابط الحفظ من الهلاك والسقوط والتردى، وأوجد حلولاً منطقية ومقبولة وعملية لكل الجوانب، وبذا جاء القرآن العظيم غنيًا وثريًا فى كل جوانب الحياة، الروحية، والمادية، والعقلية، والنفسية، والجسمية، والاجتماعية.

من هذا المنطلق الذى ندور فى دائرته، مقتنعين بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، وبأن ما يعرض للأمة من ضعف ووهن إنما مرده إلى ضعف صلتها بدينها وبقرآنها، وبافتقاد فاعلية الإسلام وتطبيقاته فى حياتها.

ولست أصادر على عقل القارئ الكريم فيما خلصت إليه، ولكننى أبرز منطلقى الفلسفى والفكرى فى معالجة قضية البعث من منظور إسلامى؛ يكون الإسلام هو مادته

وروحه وجوهره وعندما أصحبك وتصحبنى إلى مادة الكتاب تجد دلائل وشواهد على ما خلصت إليه.

ومحاولتنا هنا فى استلهام الإسلام مادةً للبعث، وجوهرًا للنهضة، وسبيلاً للإحياء قد أفدنا فيها من علماء، كان لهم عطاؤهم وسبقهم فى ذلك، وقد صاغوا ذلك فى مؤلفات؛ تناولت مثل ذلك. ومع إقرار إفادتنا منهم، وغرفنا من روافدهم إلا أننا ننحو نحوًا يبدو مختلفًا فى تناول ذلك، اختلافًا فى المدخل أحيانًا، وفى التناول أحيانًا أخرى، وفى التنائج فى بعض الأحايين، مع عزو الفضل لأهله، والسبق لأصحابه.

ولست أزعم أننى سأحيط كل الموضوع دراسة وفحصًا، ولا أزعم أن ما قدمته هو الدلالات القاطعة التى لا اجتهاد بعدها.. وإنما حسبى أن أقرر أن هذا عملٌ تتلوه أعمال أخرى إن شاء الله؛ مكملة لنفس فكرة هذا الكتاب.

وتقتضى الأمانة العلمية أن أشير إلى أن هذه المحاولة لم تأت من فراغ، وليست مقطوعة السياق، ولكنها تواصل مع مؤلفات دينية وفكرية سابقة لى بعون الله. وأننى شغلت بفكرة هذا الكتاب وعشتها منذ فترة ليست بالقريبة، حيث طالعت – بتأن – كل ما وقع فى يدى، مما يتصل بفكرة الكتاب من كتابات، وربما كان ذلك أحياناً لأغراض أخرى غير التأليف، ولكنها بالضرورة كانت مخزونًا خبريًا، اهتديت به فى بلورة فكرة هذا الكتاب، الذى آمل أن يكون جانب التأصيل والتجديد فيه أكثر من جانب الأخذ والنقل عن الآخرين إن شاء الله تعالى، اتفاقًا مع نهج هذه السلسلة.

وأجدنى الآن فى حاجة لرحلة قصيرة لمادة الكتاب، نتوقف عند جزئياتها وعناصر تناولها وهيكلها العام.

فقد عولجت مادة الكتاب فى ثلاثة فصول أساسية؛ نعرض لموجزها فيما يلى:

– استهلت بتناول مفصل لقضية الحضارة من منظور إسلامى، وذلك تحت عنوان: (مضامين الفكر الحضارى فى الإسلام) أو (مضامين الحضارة الإسلامية)؛ حيث التعريف بالحضارة ومضمونها، وتطبيق ذلك على الحضارة الإسلامية وفاعلية الجانب العقائدى فيها، ثم بيان دور العرب والمسلمين فى هذه الحضارة، وإبراز عناصر الخصوصية فيها. مع رصد لتطورها وموقف المسلمين من الحضارات الأخرى وتحليل

رؤية كل موقف وبواعثه ومنطلقاته ومسلماته ثم التوقف عند الجانب الحضارى فى عقول السلف، بتقديم مقتبسات من أقوالهم، وتلمس كيفية استيعابهم لمضامين البناء والتواصل وعوامل الدفع والتقدم فى دينهم، والتى فصلنا القول فيها فى تناولها لركائز الحضارة الإسلامية، وبيان خصائصها التى قامت عليها، وتحليل طبيعتها وأسسها ومبادئها التى بنيت عليها، مع شرح مُبسط لكل مبدأ منها، وصولاً لعدة مسلمات فى حضارة هذا الدين، هى بمثابة قناعات وثوابت لدى المتعامل معها ولدى كل مسلم. ثم خلصنا فى نهاية ذلك إلى الإجابة عن سؤال محورى هو: ما واجبنا نحو حضارتنا؟ فكان أن قدمنا سبعة واجبات، وبينا الجانب المعرفى والعلمى فيها. ثم عقبنا على ذلك وأوجزنا ما فصلناه. وهذا ما تجده فى الفصل الأول بمباحثه التسعة.

- ثم عرضنا للجانب القيمى فى الإسلام تحت عنوان: (المنظور القيمى والأخلاقى فى الإسلام كأحد مقومات البعث) فى أربعة مباحث: أوضحنا المضامين الأخلاقية فى الإسلام وتأصيل القواعد الأخلاقية والرؤية الشمولية لها فى الإسلام فى المبحث الأول؛ ثم صنفنا المنظومة الأخلاقية فى الإسلام فى أقسام ثلاثة؛ عرضنا لأحد عشر خلقا فى كل قسم – بالتفصيل والشرح – حيث الأخلاق الأساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم فى القسم الأول، والأخلاق الفرعية الحميدة لكل مسلم فى القسم الثانى، ثم الأخلاق الذميمة المنهى عنها فى الثالث، وهذا ما عرض له المبحث الثانى، ثم توقفنا عند قضية العمل فى الإسلام ورؤيته للعبادة كجزء من الرؤية الأخلاقية فى المبحث الثالث. أما المبحث الرابع فقد تناول نظرة الإسلام للمال والجانب القيمى فى ذلك وهذا ما تجده مفصلاً فى الفصل الثانى.

وامتدادًا لعرض مضامين الحضارة الإسلامية وتحت عنوان: (المنظور العلمى والإعلامى فى الإسلام كأحد ركائز البعث) جاءت معالجة ثلاثية الأبعاد؛ مستلهمة الفكر الإسلامى فى الجانب العلمى ومضامينه فى الإسلام (أولاً) وذلك بعرض المنهج الإسلامى فى رؤيته للعلم. ثم رصد العلاقة بين العلم وحضارة المسلمين بين الأمس واليوم فى (ثانيًا) وذلك بعرض المنهج التجريبى عند المسلمين والرؤية الشمولية للعلم فى الإسلام. واستطرادًا فى تناول المضمون النهضوى البعثى التجديدى فى الإسلام

عرضنا للجانب الإعلامى ومضامينه فى الإسلام فى (ثالثًا) وذلك بعرض أكيان التبليغ والإبلاغ والدعوة والإعلام فى دين الله تعالى. وهذا ما تجده مفصلاً فى الفصل الثالث.

وهذا الرصد لمضامين الحضارة الإسلامية فى المجالات التى عرضنا لها فى الفصول الثلاثة، والتى نرى أنها أبرز ركائز البعث الإسلامى الذى نرى أن الإسلام هو خير نموذج عصرى لتحقيق معادلة النهضة والتجديد.

وثم مضامين أخرى لم تتسع لها المعالجة هنا مثل: الشخصية الإسلامية ومضمونها المتكامل، والمنظور الصحابى والتراثى للتجديد، والمنظور المتصل بالحكم فى الإسلام وقضايا الشورى والحرية، والمنظور المتصل بدور العرب فى قضية البعث والمنظور القومى، والرؤية التربوية فى الإسلام.

وأرجو من الله تعالى أن تستكمل المعالجة، بفضل منه سبحانه، حرصًا على تمام المعالجة، واستيفاء الموضوع، وتوفية القضية حقها، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

وبقدر حُسن النوايا وسلامة القصد وجلال المقصد ورجاء النفع للمسلمين فإنى أدعو الله تعالى أن تكون ثمة إضافة فكرية بهذا الكتاب فى لبنة الثقافة الإسلامية، وأن ينفع الله به. وإن تكن الإضافة مثمرة فذلك بفضل الله تعالى، وإن تكن الأخرى فهذا من نفسى.

والله أسأل أن يتقبل منا عملنا هذا؛ الذى أرجوه خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخرًا لى يوم القيامة، راجيًا القبول وتحقيق النفع إن شاء الله. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم المعين والوكيل.. والحمد لله رب العالمين.

د. أحمد عبده عوض